



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"يقودي" هو النص الأسبوعي الحادي عشر والأخير من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية الحادية والعشرين من المقطع الثامن والثلاثين وينتهي بالآية الثامنة والثلاثين من المقطع الأربعين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

اَحْتَفِلُوا!

إذا أراد القادة أن يُخرجوا أفضل ما في نفوس الذين يقودونهم، فعليهم أن يمنحهم الفرصة ليُبرهنوا على قدرتهم على إنجاز أعمال عظيمة، ثم عليهم الاحتفال بإنجازهم وإبهارهم. وهذا بالضبط ما حدث في لحظة محورية وُردت تفاصيلها قبل نهاية النص الأسبوعي الحالي "يقودي" بقليل، وهي لحظة تختتم سفر شموت، أي سفر الخروج، بخاتمة سامية بعد سلسلة طويلة من المعاناة والصراعات التي سبقتها. لقد أنجز بنو إسرائيل أخيراً بناء "المشكان"، كما وُرد في الآية الثانية والثلاثين من المقطع التاسع والثلاثين من سفر الخروج:

"فَكَمِلْتُ جَمِيعَ صَنْعَةِ لِمَسْكَنِ خِباءِ الْمُخَضَّرِ (أي المِشْكَن)، وَصَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، كَجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى، كَذَلِكَ صَنَعُوا". وكما ورد أيضاً في الآية الثالثة والأربعين من المقطع التاسع والثلاثين من سفر الخروج: "فَلَمَّا رَأَى مُوسَى جَمِيعَ الْعَمَلِ، وَإِذَا بِهِمْ قَدْ صَنَعُوهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، بَارَكَ إِلَهُهُمْ مُوسَى".

هذا النص يبدو للوهلة الأولى بسيطاً، لكنه يستحضر لدى القارئ المتمكن صدى نصِّ توراتي آخر من ختام سَرْدِ تفاصيلِ الخلق، وقد ورد هذا النص ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية الثالثة من المقطع الثاني من سفر التكوين:

"كَمِلَتْ، السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَجَمِيعُ جُيُوشِهَا: وَأَكْمَلَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ خَلْقَهُ الَّذِي صَنَعَ، وَعَطَلَ فِيهِ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً، مِنْ مِثْلِ خَلْقِهِ الَّذِي صَنَعَهُ: وَبَارَكَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَقَدَّسَهُ، إِذْ عَطَلَ فِيهِ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً، مِنْ مِثْلِ خَلْقِهِ الَّذِي صَنَعَ".

تردَّد ثلاث كلمات رئيسية في كلا النصين: "صَنَعَ" (أي العمل)، و"كَمِلَ"، و"بَارَكَ". وإنَّ تردَّد صدى نصِّ توراتي في نصِّ توراتي آخر لا يحصل بمحض الصدفة، بل هو أسلوب التوراة في الإشارة إلى التداخل بين نصِّ وآخر، بحيث تُقرأ إحدى الشرائع أو القصص في ضوء

*ملاحظة توضيحية من المترجم: استخدم الحاخام سعديا غاؤون الفيومي في ترجمته العربية للتوراة كلمة "صنع" بدلاً من "عمل". بينما النص الإنجليزي الأصلي يركّز على كلمة work وقد أثّرنا الالتزام بكلمة "صنع" كما وردت في التفسير العربي للتوراة، مع التوضيح أنه يقابل في هذا السياق معنى "العمل".

اَحْتَفِلُوا!

شريعة أو قصّة موازية، فيتعمّق المعنى ويزداد وضوحًا. وهنا تُؤكّد التوراة أنّ سفر الخروج ينتهي بالطريقة ذاتها التي بدأ بها سفر التكوين: أي بأحد أفعال الخلق. إلّا أنّنا يجب أن ننتبه أيضًا إلى الفرق بينهما كما انتبهنا إلى التشابه: إذ يبدأ سفر التكوين بفعلٍ خَلَقِ إلهي، بينما ينتهي سفر الخروج بفعلٍ خَلَقِ إنسانيّ.

وكلّما تأملنا في النصّين بعمقٍ أكبر، أعني النصّ العبريّ للأصليّ للتوراة، ازددنا إدراكًا للمدى الذي بُنيت فيه هذه الموازاة بعناية بالغة. إنّ سرّ تفصيل الخلق في سفر التكوين قد بُنيَ بإحكامٍ حول سلسلةٍ من السبعيّات: فهناك سبعة أيّام للخلق، وتتردّد كلمة "جَيّد" سبع مرّات، وكلمة "الله" خمسًا وثلاثين مرّة (5×7)، وكلمة "الأرض" إحدى وعشرين مرّة (3×7). وتتألّف الآية الافتتاحيّة من المقطع الأوّل من سفر التكوين من سبع كلمات، والثانية من أربع عشرة كلمة، وتتألّف الآيات الثلاث الختاميّة من خمسٍ وثلاثين كلمة، ويبلغ مجموع النصّ كلّ 469 كلمة (7×67).

وبالمثل، فإنّ سرّ تفصيل بناءِ الـ"مِشكان" في النصّين الأسبوعيّين "فَتَقْهَيْل" و"يَقُودِي" قد بُنيَ حول الرقم سبعة. فكلّمة "القلب" تتكرّر سبع مرّات ابتداءً من الآية الخامسة وانتهاءً بالآية التاسعة والعشرين من المقطع الخامس والثلاثين من سفر الخروج، حين يُحدّد نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى الموادّ التي ستستخدم في البناء. وتتكرّر الكلمة نفسها سبع مرّات أخرى ابتداءً من الآية الرابعة والثلاثين من المقطع الخامس والثلاثين وانتهاءً بالآية الثامنة من المقطع السادس والثلاثين من سفر الخروج، في وصف عمل الصانعين بتصلّيل/بصلّيل وأهاليآف/أهولياّب. كذلك فإنّ كلمة "نُزُوماه" (أي المساهمة أو العطاء) تتكرّر سبع مرّات في هذا المقطع. وفي المقطع التاسع والثلاثين، الذي يصف صناعة ملابس الكهنوت، تتردّد عبارة "كَمَا أَمَرَ اللَّهُ مُوشِيه" سبع مرّات، ثم تعود لتتكرّر سبع مرّات أخرى في المقطع الأربعين.

وما الغاية من هذه التكرارات؟ إنها تهدف إلى رسم تشابهٍ مُذهلٍ بين خلق الله للكون، وبين "خلق" بني إسرائيل للـ"مِشكان". لقد كان الـ"مِشكان" عالمًا مُصغّرًا، كونيًا صغيرًا مُحكم البناء بحكمةٍ ودقّةٍ تُماثل خلق الكون نفسه، ومكانًا للنظام في وجه غياب النظام الذي يُميّز الصحراء والفوضى المتربصة دومًا بقلب الإنسان. كان الـ"مِشكان" علامةً مرئيّةً تُذكّرُ بحضور الله عزّ وجلّ في وسط المخيم (أي في وسط جماعة بني إسرائيل)، وكان ذلك الحضور نفسه رمزًا ودلالةً على حضور الله عزّ وجلّ في الكون بأسره.

وتتبلور هنا فكرة عظيمة ومصيريّة: فبنو إسرائيل، الذين صُوروا في معظم سفر الخروج كشعبٍ متدمرٍ قليل الامتنان وفاتر العزيمة، أُتيح لهم بعد خطيئة العجل الذهبي أن يُبرهنوا على أنّهم شعبٌ غير ميؤوس منهم، وأنّهم قادرون على القيام بأعمال عظيمة. لقد أثبتوا بأنّهم قادرون على الإبداع الخلاق، واستغلّوا سخاءهم ومهارتهم في بناء كونٍ صغير. وبذلك جسّدوا العبارة العميقة التي صاغها الحاخامات: أن يكون الإنسان "شريك الله عزّ وجلّ في مسيرة الخلق المستمرة". وقد أسهم ذلك بشكلٍ أساسيٍّ في إعادة إحياء معنويّاتهم وترميم صورتهم الذاتيّة بوصفهم الشعب الذي أبرم العهد مع الله عزّ وجلّ.

ويتمجّل أمامنا هنا درسٌ عظيم: إنّ الديانة اليهودية لا تنظر نظرةً مُتدنيّة إلى الإنسان وإمكاناته، ولا تؤمن بأنّه مُدسّسٌ بخطيئة أصليّة. فنحن لسنا عاجزين عن السموّ الأخلاقي، بل على العكس: فكوننا خُلّقنا على صورة الخالق عزّ وجلّ، هو ما يجعلنا، دون سائر المخلوقات، قادرين على الإبداع. ويقول الحكماء إنّّه حين بلغ الإنجاز الإبداعيّ الأوّل لبني إسرائيل ذروته، باركهم نبيّ الله ورسوله موشيه قائلًا: "لِتَكُنْ مَشِيئَةُ اللَّهِ أَنْ تَجَلَّ الـ"شَخِيئَاه" (أي السكينة) في صَنْع أَيْدِيكُمْ". إنّ عظمتنا الكامنة تكمن في أنّنا نستطيع أن نبني هياكل، وننسج علاقات، وأن نُشكّل حياتنا بحيث تُصبِحُ بيتًا لحضور الله عزّ وجلّ.

وعندما باركهم نبيّ الله ورسوله موشيه، أظهر لهم ما يُمكن أن يُصبحوا عليه، وكانت تلك تجربةً قادرة على تغيير حياتهم ومصيرهم. وإليكم مثالًا معاصرًا لكي تُدرك أثر الاحتفال بإنجازات الآخرين في حياتهم: بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، تلقيتُ رسالةً من امرأةٍ من لندن لم أعرف إلى اسمها أول الأمر. في صباح ذلك اليوم، حين كانت الطائرات تضربُ بُرجي مركز التجارة العالمي، كنتُ أُلقي محاضرةً عن كميّة رفع مكانة مهنة التعليم، وقد اطلّعت تلك السيّدّة على تقريرٍ عن المحاضرة في الصحافة، فذكرها ذلك بقاءٍ جرى بيننا قبل ثماني سنوات.

في ذلك الوقت، عام 1993، كانت السيّدّة مديرةً لإحدى المدارس التي تواجه صعوبات بالغة. وكانت السيّدّة قد استمعت إلى بعض برامجي الإذاعيّة، وشعرّت بأنّ ما كنتُ أقوله يتوافق مع أفكارها، فطلّمت أنّي قد أمتلك حلًّا لمشكلتها. دعوتها مع اثنين من

1. سيفري، سفر العدد، فقرة "بنحاس"، 143.

المسؤولين الإداريين في مدرستها إلى بيتنا. وروت لي قصتها: كانت الروح المعنوية في المدرسة، بين المعلمين والطلاب والأهالي على حد سواء، في أدنى مستوياتها على الإطلاق. وكان الأهالي يُخرجون أبناءهم من المدرسة، وانخفض عدد الطلاب من ألف إلى خمسمئة. وكانت نتائج الامتحانات سيئة، فلم يحصل على درجات عالية سوى ثمانية في المئة من الطلاب. وكان واضحاً أنّ المدرسة ستُغلق ما لم يحدث تغيير جذري.

تحدّثنا ساعة أو أكثر عن موضوعات عامة مثل المدرسة بوصفها مجتمعاً صغيراً، وكيفية خلق "روح" جماعية وقيم مشتركة. لكن فجأة أدركت أننا نفكر في الاتجاه الخاطئ، فمشكلتها عملية لا فلسفية. قلت لها: "أريدكم أن تعيشوا كلمة واحدة: احتفلوا". تنفّست بعمق وقالت: "لكنك لا تفهم، ليس لدينا ما نحتفل به! كل شيء في المدرسة يسير نحو الأسوأ". فأجبتها: "إذن ابحثوا عن شيء تحتفلون به. إذا أحرز طالب واحد تقدماً هذا الأسبوع مقارنةً بالأسبوع الماضي، احتفلوا. إذا كان هناك عيد ميلاد لأحد الأشخاص في المدرسة، احتفلوا. وإذا جاء يوم الثلاثاء، احتفلوا".* بدت غير مقتنعة، لكنّها وعدتني بتجربة الفكرة.

وبعد ثماني سنوات، كتبت إليّ تخبرني بما حدث: ارتفعت نسبة النجاح بدرجات عالية من 8 إلى 65 في المئة، وارتفع عدد الطلاب من خمسمئة إلى ألف، وأخيراً بشرتني بأنّها حازت لتوّها على وسام الإمبراطورية البريطانية برتبة "دام"، أحد أرفع الأوسمة التي تمنحها المملكة المتحدة، تقديرًا لإسهامها في التربية والتعليم. وختمت رسالتها بأنّها أرادت فقط أن تُعلّمني كيف أنّ كلمة واحدة غيرت المدرسة وحياتها.

لقد كانت مُعلّمة عظيمة، وبالتأكيد لم تكن بحاجة إلى نصيحتي، ولا شك أنّها كانت ستكتشف الحلّ بنفسها، لكنني لم أشك لحظة في أنّ هذه الاستراتيجية ستنجح. فنحن نتحسن ونتطور لتتوافق مع ما يتوقعه الآخرون منّا: فإن كانت توقعاتهم منّا منخفضة، نبقي محدودين، وإن كانت توقعاتهم مرتفعة، فإننا نتقدم بثقة وثبات.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ لكل واحد منّا "مقداراً ثابتاً" من الذكاء أو الفضيلة أو القدرة الأكاديمية أو الحوافز فكرة سخيفة. صحيح أنّه ليس بمقدورنا جميعاً أن نرسم لوحاتٍ مثل كلود مونيه (1840-1926)، رائد الانطباعية الفرنسية، أو نُؤلف موسيقى مثل فولفغانغ أماديوس موزارت (1756-1791)، لكن لكل واحد منّا مواهب وقدرات قد تبقى كامنة طوال حياته حتى يُوقظها أحدٌ ما. بإمكاننا أن نبلغ قمماً لم نكن نظنّ أنّنا قادرين على بلوغها، وكلّ ما نحتاجه هو أن نلتقي بمن يؤمن بنا، ويتحدّانا، ثم حين نستجيب للتحدي، يباركنا ويحتفل بإنجازنا. وهذا بالضبط ما فعله نبي الله ورسوله موشيه مع بني إسرائيل بعد خطيئة العجل الذهبي، فقد جعلهم أولاً يخلقون، ثم باركهم وبارك صنيعهم بإحدى أبسط البركات وأكثرها تأثيراً على الإطلاق: أن تحلّ "الشّخيناه" (السكينة) في عمل أيديهم.

فالاحتفال هو جزء أساسي من التحفيز؛ فهو الذي غير مدرسة، وفي عصر أسبق وسياقٍ أكثر قداسة كان هو نفسه ما غير مسار بني إسرائيل. وعندما نحتفل بإنجازات الآخرين، فإننا نُساهم في تغيير حياتهم.

* ملاحظة توضيحية من المترجم: في الديانة اليهودية ليوم الثلاثاء خصوصية، إذ يتكرّر فيه في نصّ الخلق في سفر التكوين التعبير "كي طوف" (إنّه جيد) مرتين، ولذلك يُنظر إليه كيوم مُضاعف الخير.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion

